

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ هَذِهِ مَتَابِعُ مَا أَحْرَزْنَا وَأَنَا كَيْفَ عَابِدُونَ مَا قَوْلَ اللَّهِ الْعَظِيمِ



الندوة العلمية: إصلاح الخطاب الديني ما بعد داعش

# تمكين الثقافة القرآنية

مفهوم "الأمة" أنموذجاً

الدكتور مخلص الزامل

## توطئة

داعش.. مرارة التجربة وأزمة النصوص:

مما لا شك فيه أن المنظومة الفكرية التي تبناها التنظيم السلفي التكفيرى المسمى بتنظيم القاعدة الذي أنجب أسوأ نتاجين على مستوى التاريخ الإسلامى وهما جبهة النصرة وتنظيم داعش الإجرامى كانت تستند إلى قراءات خاصة وشاذة لنصوص الشريعة سواءً أكانت من القرآن الكريم أم من السنة النبوية الشريفة وكذلك سنة السلف من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وقد شخصت هذه القراءات على نحو من السلوك والممارسات التي لا تتسجم مع دلالات النص القرآنى والحديثى وإنما جاءت لتعبر عن عقدٍ تاريخية بعضها طائفى وآخر قومى أو عرقى أو قبلى. وقد عاش المجتمع العراقى ويلات هذا الفهم السقيم بكل مرارته وتجربته المناطق المنكوبة دماً و وجعاً ستبقى آثاره إلى ما شاء الله .

**الخطاب:** نصٌ يحملُ رسالةً عامةً أو خاصةً يهدف إلى بيان موقف منشئه على وفق الرؤية التي يتبناها المخاطب أوالمخاطب في قضية معينة، يؤدى بأساليب التعبير المختلفة. والخطابُ قد يكون نصاً أو لا نص، فالكلمة خطاب والصمت قد يكون خطاباً أيضاً. وهو ما يطلق عليه:الموقف في اللا موقف.

**المخاطب:** يمكننا أن نعدد مصادر الخطاب بحسب (المخاطب):

- **مؤسسات الدولة:** وخطابها يظهر في القوانين والتشريعات، والمناهج التربوية والدراسية، والخطاب الإعلامى، والخطاب الإجرائى من خلال تفعيل مبدأ المواطنة كمعيار أساس فى النظر إلى المكونات أفراداً وجماعات، من خلال تمكين وتجسيد الثقافة القرآنية الحققة، وتفعيل المضامين الساميات التي حث عليها الخطاب القرآنى وجعلها معالم الحلال والحرام ومبادئ الثواب والعقاب. وتقع على عاتق مؤسسات الدولة مسؤولية إدارة الخطاب المتظافر الذي يحفظ حقوق المواطنة ويحمى الأفراد والجماعات فيما يعتقدون على وفق مبادئ الدستور والقوانين التي

تنظم علاقة الدولة والمجتمع أو علاقة الأفراد بعضهم ببعضهم الآخر بما ينسجم مع المصدر الآخر للخطاب وهو المؤسسة الدينية.

- المؤسسة الدينية: المتمثلة بالحوزات والهيئات والمرجعيات الدينية التي ترجع إليها إدارة المنظومة المعرفية العقدية والفقهية وقيادة المؤسسات الفرعية المتمثلة بدور العبادة والمدارس والمراكز والمنتديات من مختلف الأديان والمذاهب، والمنبر الديني: هو المقصود بذلك، فلا بد أن يكون الخطاب فيما بين هذه الجهات منتظماً ومتسقاً في سبيل تعزيز القيم السماوية التي بُعثت بها الرُّسل وتديننت بها الأمم التي تتفق على أصول التوحيد والنبوة والمعاد التي أكدها النص القرآني أن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر يعصم حياة الإنسان وكرامته وماله وعرضه.

تتظافر نتائج هاتين المؤسستين في سبيل خلق حالة من القبول للآخر في ضوء القوانين الشرعية والوضعية بما يعزز القضاء على منهج الحذف والاستعداد والاحتراب المذهبي والديني والعرفي.

#### قنوات الخطاب الديني:

الكتاب: النص المقدس.. و قراءات القدماء والمحدثين

المنبر: خطب الجمعة ومجالس الوعظ والإرشاد والعزاء

الفتوى: موقف المرجعية الدينية في المذاهب الإسلامية المختلفة والأديان والشرائع

التسويق الإعلامي: البرامج المتفزة والأفلام الوثائقية و وسائل التواصل الاجتماعي.

المخاطب: لكل مقام مقال، ومن عناصر المقام المتلقي ومستوى فهمه والثوابت التي

يؤمن بها والمعنيون بالخطاب الديني في مرحلة ما بعد داعش هم:

- الشعب العراقي (المحررين والمُحررين): بطيفه المتكامل.

- الأمة الإسلامية: بحكوماتها وشعوبها.



فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاعملوا به، وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار" تفسير أبي الفتوح ٣: ٣٩٢. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال عدة مرات: "مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف" الكافي ١: ٦٩ ح ٤. فالقرآن كما سنبين هو النص الذي يحفظ كينونة الأمة بأطرافها وأعرافها المختلفة وهي تسير في طريق الاستخلاف الحقيقي بالرضوان وسعادة الدارين.

ومن صور التناسق بين القرآن والسنة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات ١٠، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتٍ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات ٩ فذلك جاء تفصيله في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذَمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ أَلَا لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا دُوَّ عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي. ومنه أيضا حديث "مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". ومن طريق تنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ٦٤، وقوله تعالى من جهة مقابلة: ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة ٣٢، فقد جاء في السنة النبوية ما ينسجم مع هذا التوجه في التقريب في قول النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا". البخاري (٣١٦٦).

### تمكين مفهوم "الأمة" خطوة أولى في طريق التقريب

لقد ذم الله جل وعلا التشرذم في أمر الأمة المستخلفة فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أُمُورُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام ١٥٩، وفي مورد آخر يقول جل شأنه: ﴿ مِنَ الَّذِينَ

فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿الروم ٣٢﴾، ثم ينتقل من أسلوب النهي إلى أسلوب الأمر في إيجاد السلوك القويم المعاكس لحالة التشطي التي تنتاب الأمم بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران ١٠٣، فهو الذي أنعم على هذه الأمة بهذه الرسالة السمحة المؤدية إلى سعادة الدارين.

**والأمة:** مفهوم دنيوي وأخروي في آن واحد بحسب التعبير القرآني، ودنيوية هذا المفهوم يفصلها القرآن في موارد كثيرة، والأمة بحسبه: الجماعة، وأمة الرجل: جماعته، ويُشترط في الأمة ملاك الرسالة والرسول كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ البقرة ٢١٣، أما ملاك الرسالة والرسول فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ النحل ٣٦، وقد تحقق هذا المفهوم بدعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم إذ قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ البقرة ١٢٨، ثم يردف قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة ١٢٩، فكان قدر هذه الأمة المستخلفة بالرسالة الخاتمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة ١٤٣، وقد اختص من هذه الأمة فريق عبّر عنه بالأمة؛ لعظم شأنه وجليل عمله وهو: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ١٠٤، وما إن تحقق ذلك حتى جاءت النتيجة بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

